الإذاعة والتنمية : ارتباط أم تكامل ...؟

د/شعباني مالك
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
–جامعة بسكرة–

الملخّــص:

إن حدود الدور الذي تقوم الإذاعة في التنمية بمختلف جوانبها (الثقافية والاجتماعية....) ينبع من حقيقة مهمة، وهي أن الإذاعة ليست متغيرا مستقلا، ومن ثم فإن أداء دورها يتحدد إلى حد كبير بالبيئة الاقتصادية والسياسية، كما يتحدد إلى مدى بعيد بطبيعة وفاعلية الدور الذي تقوم به أجهزة الثقافة والتعليم الأخرى، ويتحدد أخيرا بمضمون الرسالة الإعلامية التي تسعى إلى نقلها، ومدى صدق هذا المضمون من ناحية، وصدق مصدرها من ناحية أخرى.

Abstract:

The main role that the radio performs in the domain of development in its deferent sides (cultural-social…) comes from an important truth witch is that radio is a changeable and independent body, for that the radio performance is limited by the economic and political environment, also it is cultural equipment and the other educational domain.

It is finally, limited by the content of messages.

That it comes to report, as well as, by the honesty of the content from hand and by the of the content from one hand by its resources by the other hand.

مقدمة:

رغم التطور الذي عرفته البشرية في شتى مجالات ومناحي الحياة، إلا أن هاجس التنمية ظل حلما يراود الجميع، عالمهم ومتعلمهم، غنيهم وفقيرهم، فالناظر لتاريخ البشرية نظرة استقراء وتبصر يرى ويدرك ذلك بفهم ووضوح تامين، فمن علماء اليونان قديما كسقراط وأفلاطون وأرسطو، مرورا بعلماء القرون الوسطى، وكان من أبرزهم عربيا ابن خلدون والفارابي، وصولا إلى عصر النهضة الأوربية والأمريكية، وكان من أبرز روادها: كونت، دوركايم، ماركس، إنجلز، فيبر بارسونز، ميلز... دون أن ننسى علماء فلسفة التنوير كجون لوك، روسو، هوبز، هذا في النصف الشمالي من الكرة الأرضية، أما في النصف الجنوبي فنجد منظري التبعية كفرانك ووالر شتاين وسمير أمين ... كل هؤلاء المذكورين قديما وحديثا تناولوا قضية التنمية، وكل واحد يدلوا بدلوه في مجاله، ووفقا للظروف الاجتماعية والسياسية التي عاصرها.

إن كل عالم مما سبق ذكره وغيره تناولوا قضية التنمية، فهناك من يتناولها من الناحية السياسية كأفلاطون في كتابه الشهير" الجمهورية الفاضلة "، وكذلك المعلم الثاني "الفارابي" في كتابه الذائع الصيت "آراء أهل المدينة الفاضلة"، وهناك من يتناولها من الناحية الاقتصادية ككارل ماركس (المادية التاريخية، المادية الجدلية)، وبعده زميله "فريديريك إنجلز"الذي كانت كتاباته ترجمة لكتابات معلمه وصديقه كارل ماركس، دون أن ننسى النجم العربي الذائع الصيت في عصره والعصور اللاحقة إلى يومنا هذا ألا وهو "ابن خلدون" و"مقدمته الشهيرة" الذي تناول فيها بإسهاب كبير الشق السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي للدولة وكيفية نهوضها واستقرارها من جهة، ومن جهة أخرى أسباب وعوامل أفولها واندثارها، مرورا بكونت ودوركايم، هذا الأخير الذي كانت كتاباته ترجمة للأول، دون أن ننسى أبو الرأسمالية الغربية الإنجليزي "آدم سميث" وكتابه الشهير "رأس المال" وعالم ألمانيا الشهير "ماكس فيبر" وكتابه الفريد "نمو الرأسمالية والروح البروتستانتية"، و"روستو" صاحب "مراحل النمو" ...وصولا إلى وقتنا الحالي، ورغم أفول نجم الإتحاد السوفييتي، وتصدع بنيانه وانهياره كليا بعد 1991، وتزعم الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا الغربية

العالم، ومع ظهور نمط أفكار ومفاهيم جديدة وأدبيات المعاصرين كـــالعولمة، ما بعد الحداثة، ما بعد المعسكر الشرقي، التنمية المستدامة ...إلا أن التنمية كانت ولا تزال قطب رحى الجميع ومحور دورانه، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى الكل يدلوا بدلوه في سبيل تحقيق التنمية الشاملة في جميع المجالات، فهناك من يرى بأن تحقيق الديمقراطية مطلب أساسي في سبيل النهوض بالمجتمعـــات النامية، والمحـــافظة على صيرورة وتطور المجتمعات الراقية، وهناك من يرى بأنه لتحقيق التغيير المنشود، والمحافظة عليه هو الاستخدام الأفضل لوسائل الإعلام، مع ترك الحرية والاستقلالية لها في تناول وطرق شتى المواضيع باعتبارها السلطة الرابعة بعد السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وهناك من يرى...وهنـــاك من يرى...

وفي خضم هذا كله يأتي مقالنا المقتضب هذا في صميم البحث عن دور وسيلة هامة من وســـائل الإعلام، ألا وهي: الإذاعـــة في تحقيق تنمية شـــاملة ومستدامة، فما هو هذا الدور ياترى ؟ وهل أن هناك علاقة ترابطية أو تكاملية بين الإذاعة والتنمية؟ وما أثر وتأثير كل منهما على الآخر؟

أولا: وسائل الإعلام والتنمية

إن التنميـــة القومية في حقيقتهـــا عملية حضـــارية، وليس التقدم الصناعي والتطـــور الزراعي والنهوض الاقتصادي، إلا بعض عناصر هذه العملية التي تكتمل بالوعي السياسي والرغبة الحقيقية في التغير الاجتماعي.

فالشعب لابد أن يتعلم ويمحو أميته، والأمة لابد أن تتحضر وتغير اتجاهاتها القديمة وعاداتها البالية، ولابد أن تخطط الدولة لنهضتها تخطيطا علميا واقعيا سليما بحيث تشارك الجماهير في ذلك كله مشاركة فعالة، وهنا يأتي دور الإعلام في التنوير والتغبير والتوعية وإثارة الحماس، وتنظيم القوى العاملة والدفاع عن المنجزات الحضارية، والإسراع بخطوات التنمية[1].

وعلى ضوء هذا النموذج الجديد للتنمية، الذي يقضي مشاركة الشعب في شؤون الأمة ويمكن كل مواطن من أن يؤكد شخصيته وذاتيته الثقافية، فإن الهدف الجوهري لأي

سياسة للاتصال، لا سيما بالنسبة للبلدان النامية يجب أن يتمثل في تزويد كل أمة بالبنى الأساسية بصفة عامة، وبالمواصلات السلكية واللاسلكية، ووسائل الإعلام بصفة خاصة، التي تلبي احتياجاتها على أفضل وجه.

ومن الحق طبعا أن التنمية الاقتصادية والصناعية والتكنولوجية عامل هام في رفع مستويات معيشة الشعوب والأمم، ومن ثم تعيين يتعين العمل على تحقيقها وتعزيزها، ولكن هنا، كما في أي موضع آخر يكون الناس فيه هم الاعتبار الرئيسي، فإن الاتصال بين الناس أمر أساسي لتحقيق تحسين نوعي في حياة البشر، وفي المجتمعات الإنسانية، وأن تعزيز مثل هذا الاتصال، وتحقيق ديمقراطيته قد ييسر التوصل إلى شكل آخر للتنمية، يهتم بنوعية الحياة بدلا من الحرص على تنوع، وجودة السلع الاستهلاكية وحدها.

إلا أنه ينبغي ألا يكون الاتصال حكرا على وسائل الإعلام، وإنما يتعين أن يحدث أيضا من خلال المعلمين والمرشدين الصحيين والزراعيين، وغيرهم ممن أنيط بهم دور حيوي في العمل تدريجيا على خلق جو من الوعي، ومن ثم القضاء على المخاوف التي تثيرها عملية التغيير أحيانا في أذهان الناس[2].

إن عملية بناء المجتمع العصري الذي يعتمد على التنمية الحضارية لابد أن تشمل تعلم مهارات جديدة، وقبول أفكار جديدة عن طبيعة العالم والعلاقات الإنسانية، وكذلك قبول القيم الجديدة والأفكار المستحدثة وتغير الاتجاهات التي تستلزمها عملية التنمية، فالعصرية هي العملية التي يغير بها الأفراد من طريقة حياتهم من طريقة تقليدية إلى طريقة أكثر تعقيدا ومتقدمة تكنولوجية، ويتم فيها تغيير سريع في أسلوب الحياة، ويعد مستوى المعيشة ومحو الأمية وانتشار التعليم من العوامل التي تساعد على الوصول إلى العصرية.

إلا أن هناك نقطة لابد من التركيز عليها في عملية بناء المجتمع العصري، وهي ضرورة المحافظة على الذاتية الثقافية للمجتمع الذي يسعى للتحول إلى مجتمع عصري، فالعصرية لا تعني –بالنسبة للدول العربية مثلا– تبني الثقافة الغربية، ولا تعني استيراد التكنولوجيا من الغرب، فالتنمية الذاتية للشعوب يجب أن تأخذ في اعتبارها تماما القيم الثقافية الأصلية والمعاني الخاصة لهذه الشعوب ومن ثم فإن التنمية سوف تتحقق في ظل

الاحترام المتبادل بين الشعوب على الصعيد الدولي، تتحقق التنمية على الصعيد الدولي في ظل العدالة الاجتماعية، ويجب ألا تضيع الذاتية الثقافية للأمم بأي حال من الأحوال، على حساب خضوعها للمصالح الأجنبية، بل يجب على البلاد النامية أن تسعى من جانبها لإحياء ثقافتا وتأكيد عزمها على أن يكون لها حق الإسهام الكامل في الحوار بين الثقافات.

ولا شك أن الراديو والتلفزيون بما لهما من خصائص ومميزات، يمكنهما القيام بدور هام في عملية تحقيق التنمية الحضارية في المجتمعات النامية، كما يمكنهما أيضا القيام بدور كبير في عملية تعزيز الذاتية الثقافية للمجتمع، وذلك عن طريق المضامين الإذاعية التي تعبر عن القيم والعادات السائدة في المجتمع مع العمل على تطويرها بالصورة التي تخدم عملية التغيير في المجتمع[3].

ومن الطبيعي أن تمارس وسائل الإعلام– وعلى رأسها الراديو والتلفزيون– دورها في خدمة البناء الثقافي والاجتماعي، إذ تهدف الرسالة الإعلامية إلى التأثير في الجمهور الذي يستقبلها، فالهدف من أي رسالة أن تعاون على بناء، أو إفهام ظرف ما لشخص آخر، أو التأثير عليه ليقوم بعمل معين أو يشعر بمشاعر معينة.

والتأثير هو ذلك التغيير الذي يطرأ على سلوك مستقل الرسالة الإعلامية، فقد تلفت الرسالة انتباهه ويدركها، وقد يتعلم فيها شيئا، أو أنه قد يغير من اتجاهه النفسي ويكون اتجاها جديدا، وقد يتصرف بطريقة جديدة أو يعدل من سلوكه القديم.

وهذه العملية ليست من جانب واحد، وإنما هي جملة من العوامل المشتركة والمتداخلة، وهذه هي النظرية الوظيفية في التأثير الإعلامي أو ما يسمى بالنظرية الوظيفية التي تقول بأن المضمون الإعلامي يعمل من خلال عناصر ومؤثرات وعوامل وسيطة[4].

ومن المعروف أن العائلة والمدرسة ووسائل الإعلام تقوم بدور هام في عملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية ولا شك أن قيام وسائل الإعلام بنقل أنماط السلوك المقبولة والقيم الشائعة، يساعد على تحقيق التآلف والتشابه بين أفراد المجتمع الواحد، كذلك تؤثر وسائل الإعلام على أخلاق الشباب، لأن بعض أنواع المضمون قد تحدث تأثيرا أكبر من اللازم على الشباب بمناظر العواطف والجنس والعنف حينما يتعارض أمثال ذلك

المضمون مع الأخلاق العامة، كذلك تؤثر هذه الوسائل على الأطفال، حيث يعمدون إلى تقليد سلوك الأبطال الذين يظهرون في الأفلام، مما قد يؤدي إلى وفاتهم أو إصابتهم ويتضح من ذلك أن الفرد يستمد في مختلف فترات حياته بعض الأساليب الاجتماعية من وسائل الإعلام، وتجدر الإشارة إلى أن وسائل الإعلام تعتبر من المصادر الأساسية لتكيف الطفل والفرد البالغ(5).

ويمكن القول بأن الراديو هو أكثر أجهزة الإعلام انتشارا، ويعتبر الراديو من وسائل الإعلام القومية التي يمكن أن تصل إلى جميع السكان بسهولة، متخطية حاجزا الأمية والحواجز الجغرافية ويستطيع الراديو أن يصل إلى مختلف الجماعات والفئات مثل: الأفراد كبار السن والشباب والأطفال والأقل تعليما والمتعلمين وغير ذلك من الجماعات المختلفة التي قد يصعب الوصول إليها بوسائل الإعلام الأخرى، ولا يحتاج الراديو إلى أي مجهود من جانب المستمعين، وحيث أن غالبية الناس أصبحوا مشغولين، وليس لديهم وقت للتفرغ للقراءة، أصبح الراديو هو الوسيلة السهلة التي تجعلهم على علم بالأحداث والمجريات(6).

ثانيا: الإذاعة والتنمية

تصنف مشكلات التنمية من منظور إمكانية مساهمة الإذاعة المسموعة أو المرئية في مواجهتا إلى ثلاثة نماذج رئيسية وهي(7) :

أولا: مشكلات ذات طبيعة إستراتيجية تترك مواجهتها للجهات المعينة، ويقتصر دور الإذاعة فيها على الإعلام عن الأنشطة المختلفة التي تتم في شأن معالجتها، مثال ذلك المشكلات المتصلة بانخفاض مستوى الدخل الفردي، وتركز الصناعة في مناطق معينة، وتوفير الخدمات اللازمة للصناعة، ودور الإدارة المحلية في مواجهة هذه المشكلات، وتوضح العلاقة بين أجهزة الحكم المحلي والحكومة المركزية فيما يتصل بالمسائل الاقتصادية المختلفة، والمشكلات الإدارية والتنظيمية العديدة.

وثانيا: مشكلات تستطيع الإذاعة معاونة الأجهزة المسؤولية أصلا عن مواجهتها، فيكون دور الإذاعة فيها هو الدور المساعد والمعاون، وليس الدور الأصيل الذي تقع مسئوليته على أجهزة متخصصة. ومن الأمثلة على هذه المشكلات: رفع مستوى الخدمات

التعليمية الموجهة لطلبة المدارس، وكذلك الموجهة إلى الكبار، بما في ذلك محو الأمية والتدريب المهني والتثقيف النسائي.

وثالثا: مشكلات يمكن أن تقوم فيها الإذاعة بدور أصيل لا تعتمد فيه على غيرها من الأجهزة وإن كانت فعاليتها فيه تتوقف على درجة التنسيق مع الأجهزة الأخرى المعنية، ويدخل في هذا الإطار دور الإذاعة في الإقناع بالقيم الجديدة، وهجر القيم المتخلفة، وفي التوعية الصحية والاجتماعية والسياسية، وحفز الجمهور على المشاركة العامة وكذلك دورها في المستوى الثقافي العام.

1. الإذاعة والتنمية الثقافية

تبرز أهم المهام الثقافية التي يمكن أن يقوم بها الراديو في عملية البناء الثقافي فيما يلي [8] :

المساهمة في إعادة بناء الأفراد وتنمية تكوينهم باستمرار، وذلك عن طريق العمل على التخلص من المفاهيم والأفكار والعادات البالية وما إلى ذلك من موروثات التخلف التي لم تعد توائم الحاضر والمستقبل، وفي نفس الوقت وبنفس الدرجة العمل على نشر وإرساء القيم والأفكار الجديدة والمتجددة دوما التي توائم متطلبات العصر ومسيرة تقدمه، وتكفل إعادة بناء الأفراد بما يمكنهم من التصدي لمسؤوليات عصرهم، وبلوغ مستوى الحياة المحققة لطموحهم المستمر، وآمالهم المتجددة ومطالبهم وأهدافهم.

المساهمة في تشكيل الملامح الحضارية للمجتمع، وذلك بالعمل على ملاحقة العلم الحديث ونقله في حدود ما يناسب الجماهير كمعلومات وأفكار، وبالشكل والأسلوب الذي يمكن من استيعابها والوصول بمن يتلقاها إلى مستوى واقع العصر الذي يعيشه فكرا وطموحا.

2. الإذاعة والتنمية الاجتماعية

أما فيما يتعلق بدور الراديو في البناء الاجتماعي، فإن هذا الجهاز يمكن أن يكون له فعالية كبيرة في خدمة التعليم والتقدم الاجتماعي بشرط أن يستغل استغلالا رشيدا لخدمة هذه النواحي، ومن الملاحظ أن نسبة كبيرة من الناس يستمعون إلى جهاز الراديو، ومعظم هؤلاء الناس يحترمون الراديو كمصدر للمعلومات، ويصدقون المعلومات التي

يستمعون إليها، ويضاف إلى ذلك أن بعض أشكال البرامج التي يقدمها الراديو لها شعبية كبيرة لدى المستمعين، وهم يقبلون على هذه الأشكال التي تجتذبهم، ومن أهم هذه الأشكال الدراما وبرامج المنوعات والبرامج النقدية وبرامج المناقشات بالإضافة إلى الأغاني، ومن هنا فإن مدخل الرسالة الاتصالية للتنمية الاجتماعية من خلال برامج الراديو، يجب أن تعتمد على الأشكال الإذاعية التي يقبل عليها المستمعون.

وإذا كان المستمع ينظر إلى الراديو كجهاز للتســلية، فإننا يجب ألا نقدم التسلية المجردة من أجل التسلية، بل يجب أن نقدم التسلية والتعليم معا حتى يمكن أن نرتفع بمستوى الجماهير، وفي هذا الإطار يجب أن نستفيد من الراديو في تضييق حجم الأمية، والقضاء على الجهل بتيسير المعرفة ونشر العلم على مستوى الجماهير، والعمل على تطوير المهارات التكنولوجية والخبرة الفنية في كافة المجالات وهو أمر يحتل المرتبة القصوى من الأهمية بالنسبة لقضية بناء الإنسان(9).

يبرز دور الجهود الإذاعية المسموعة والمرئية في رفع مستوى الخدمة التعليمية الموجهة للمدارس، خاصة في ظروف عدم وجود المدارس الكافية لاستيعاب أعداد التلاميذ المتزايدة، فضلا عن عدم تجهيزها بالوسائل التعليمية للإيضاح، وقد أثبتت هذه الوسيلة إلى جانب فعاليتها في العملية التعليمية، إنها وسيلة اقتصادية من الطراز الأول، فبدلا من تزويد كل المدارس بالنماذج والخرائط والرسوم والأفلام اللازمة لتوضيح بعض فقرات المناهج، وهو أمر صعب أن يتحقق بطريقة مرضية في كل المدن والقرى، يتولى المذياع والتلفزيون هذه العملية عن طريق نموذج واحد يخدم الجميع، ويكفي تزويد كل مدرسة بجهاز للراديو وآخر للتليفزيون، بمواصفات فنية خاصة، لكي يوضع في قاعة معينة ينتقل إليها تلاميذ الفصل أو مجموعة من الفصول المراد توجيه البرامج إليها، ومعهم مدرسهم لكي يتحقق هذا الجانب الهام من العملية التعليمية. غير أن هذا النظام لا يمكن أن يطبق إلا بتعاون تام، وتنسيق دقيق بين الإدارات المسؤولية عن المدارس وتلك عن الخدمات الإذاعية المختلفة.

وبالإضافة إلى البرامج الإذاعية المدرسية التي تذاع في مواعيد محددة داخل الفصول المدرسية يمكن تقديم ما يعرف "ببرامج الإثراء" وهي البرامج التعليمية التي توجه

إلى الطالب في منزله، ولا توجه إليه داخل الفصل الدراسي، وقد تقـوم مقام "المدرس الخصوصي"[10].

وأما عن تعليم الكبار فهو مشكلة لا تقل في حجمها عن مشكلة تعليم الصغار من التلاميذ، فإذا كانت مشكلة المدرسة تعتبر مشكلة مستقبل لأنها تبني أجيال صاعدة، فإن مشكلة الكبار هي مشكلة الحاضر التي لا مفر من مواجهتها من أجل ذاتها، ومن أجل المستقبل أيضا، وفي هذا المجال تستطيع الإذاعة المسموعة والمرئية أن تقدم خدمات معاونة في تحقيق أهداف التنمية، إما بالدعوة والإقناع من خلال المذياع، أو بالتدريب العلمي على مهارة القراءة والكتابة عن طريق التلفزيون، كما نود أن نشير إلى التجارب والعمليات الرائدة التي قامت بها بعض الإذاعات العربيـة في هذا الميـدان، ومن بينها الإذاعة والتلفزيون في مصر[11].

كما أن حاجة النازحين الجدد إلى المدينة الكبيرة من الريف أو الصحراء، إلى اكتساب مهارات مهنية مختلفة، حاجة ملحة يتوقف على إشباعها ارتفاع الدخل الفردي ووصول الأسرة إلى المستوى الحضري المناسب، ولا توجد في المدن العربية المختلفة، وخصوصا مع ظاهرة النمو الحضري، المراكز التدريبية المناسبة التي يمكن أن تسد هذه الحاجة، الأمر الذي يستلزم ضرورة البحث عن طريقة بديلة أو طرق معاونة، ولا تقتصر حاجة النازح الجديد إلى المهن المختلفة في المدينة على زيادة المهارة الحرفية، بل يلزمه قدر ملائم من المعرفة بعلاقات العمل الجديدة بما يصاحبها من علاقات اجتماعية، حتى يمكن أن يتوافق مع البيئة الاجتماعية الجديدة.

وقد استقرت البحوث التي تعرضت لهذا الموضوع على أن هناك حاجة سريعة، وملحة إلى تطوير وسائل الاتصال الحديثة لضمان التأثير الفعال لمناهج الثقافة العمالية، ولضمان وصولها إلى العمال العاديين، وإلى عائلاتهم، فبرامج الثقافة العمالية في الراديو والتلفزيون يمكنها أن تلعب دورا هاما في خلق الوعي بالتطورات الاجتماعية والاقتصادية بين جماهير العمال، وعلى الأخص هؤلاء الذين تصل نسبه الأمية بينهم إلى درجة كبيرة... ويمكن أن تسهم هذه البرامج في التدريب المهني والتدريب على القراءة والكتابة[12].

وهناك أهمية خاصة لدور المرأة في التنمية، فالمرأة هي المسؤولية عن تنشئة الأجيال الجديدة وتوجيهها وفق متطلبات الحياة الجديدة، وهي المعين الأول للصغار والكبار على الدخول في أنماط جديدة من العلاقات الاجتماعية، ومواجهة الضغوط النفسية والاجتماعية، ومن أجل هذا فقد اهتمت الدول التي خضعت لظروف مماثلة في عمليات التنمية الاجتماعية، بعمليات التثقيف النسائي، واستخدمت الراديو والتلفزيون في هذا المجال، باعتباره أيسر وأرخص وسيلة للوصول إلى الجمهور الذي يستهدف التأثير عليه، ولا تقتصر عملية التثقيف النسائي على الجانب القيمي والسلوكي فقط، بل يجب أن يمتد إلى اكتساب مهارات جديدة في الشؤون المنزلية، ومسائل الرعاية الصحّية والصناعات المنزلية التي تعمل على رفع مستوى دخل الأسرة[13].

3. الإذاعة والتنمية الاقتصادية

أما فيما يتعلق بدور الراديو في التنمية الاقتصادية، فقد أصبح له – إضافة إلى التلفزيون – دور أساسي معترف به في تناول القضايا الاجتماعية...، والاهتمام بالأوضاع الاقتصادية بما فيها من شؤون، واعتبارات تمس حياة الفرد ونشاطه، وما يتعلق بدوره في مراحل تطوير وبناء الاقتصاد الوطني[14]، ذلك أن التنمية الاقتصادية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتنمية الاجتماعية. وهي أيضا تستهدف الإنسان... إنها تحقق رفع مستوى الأفراد والجماعات من الناحية الاقتصادية ... أو المستوى المادي والقدرة المالية لهم... أي بزيادة دخل الفرد، وطريقها زيادة الإنتاج، عن طريق استخدام وسائل أفضل في العمل الزراعي والصناعي والحرفي، والتدريب على استخدام تلك الوسائل، حيث أن الأخذ بها هو الطريق الوحيد إلى إحداث التحول المطلوب نحو كل ما هو أفضل، وعن طريق ذلك يرتفع مستوى الأفراد الاجتماعي والاقتصادي معا[15].

4. الإذاعة والتنمية السياسية

كما أن للإذاعة دوراً هامّاً في التنمية السياسية لا يقل عن الأدوار السالفة الذكر، ويتمثل دورها فيما يلي[16]:

ــ يقوم الراديو بدور يعتد به في تحقيق الوعي الوطني، وكلما حصلت الجماهير على معلومات أكثر كلما زاد اهتمامها بالتنمية السياسية، ويمكن للإعلام أن يوضح الأهداف السياسية ويوسع من درجة قبول الجماهير لهذه الأهداف.

ــ يمكن للراديو أن يكون له تأثير عميق في التغيير لا سيما إذا صاحبه استخدام الوسائل الأخرى للاتصال الاجتماعي.

ــ يساهم الراديو في تهيئة المناخ اللازم للتنمية، ويمكن له أن يساهم في تجميع القوى المنعزلة والقبائل المتناثرة والثقافات المحلية والأفراد والجماعات المختلفة والمساعدة على دمجها في إطار التنمية الوطنية.

ــ إذا كان التزايد في عدد أجهزة الراديو يساعد على تحقيق التغيير الاجتماعي والسياسي فإن الاعتبارات الكيفية الخاصة بالقائم بالاتصال ومضمونه وتوقيته وجمهوره، تؤثر كثيرا في فاعلية دور الإعلام في التنمية.

ــ قد يكون الراديو قليل الفاعلية وسلبيا إذا استخدم بشكل غير علمي، أو استغل لأغراض شخصية، ولم يركز على صانعي التنمية.

ــ يساهم الراديو في التنمية السياسية، وذلك بنقل أبعادها إلى السكان بالأشكال الملائمة، ويرتبط ذلك بقضايا التحول الاجتماعي والسياسي، وأن تتاح للسكان المشاركة في عملية اتخاذ القرارات، وذلك بتوسيع نطاق المشاركة في اتجاهين من الأعلى إلى الأسفل، ومن الأسفل إلى الأعلى.

ــ ويؤثر الراديو في التغيير السياسي، وذلك بالتطور في القيم والمعتقدات السياسية في إطار اتجاه نحو المجتمع الحديث.

ــ هناك علاقة بين النمو السريع في الصحافة المسموعة والمكتوبة والمرئية وتزايد المشاركة السياسية، إذ أن العامل الأول ينمي من المدركات السياسية للجماهير وبالتالي يزداد تفاعلها في الحياة السياسية.

ــ يقوم الراديو بدور يعتد به نحو التنشئة، ويزداد هذا الدور لاسيما عند الأخذ بالتصنيع على نطاق كبير بالإضافة إلى التحديث.

ــ يعد الراديو بالنسبة للدول النامية، مصدرا أساسيا من مصادر التغيير وبالتالي فهو يؤثر على أنماط السلوك.

ــ يعد الراديو محركا من محركات التنمية، ويساهم في تعميق الولاء للوطني والوعي به، ويلي ذلك الولاء المحلي، والوعي المحلي.

ــ يمكن للراديو أن يستعمل كتعبير عن التخطيط السياسي، وكوسيط ينقل أبعاده إلى الجماهير، بالإضافة إلى دوره في تعليم المهارات الضرورية.

ــ يقوم الراديو بدور يعتد به في دخول دائرة التحديث من خلال التغيير السياسي والاجتماعي.

ــ قد يحدث تناقض بين الالتزام السياسي، والموضوعية في مضمون رسالة الراديو، نظرا للخصائص المرتبطة بهذه المرحلة، ومن هنا يبرز الالتزام السياسي لوسائل الإعلام على حساب الموضوعية في بعض الأحيان، نظرا للتركيز على أهداف التحديث وبناء الأمة.

ــ هناك علاقة بين التعرض للراديو والتغير، فالراديو يساهم بدور يعتد به في التغيير الاجتماعي السياسي، ويزداد هذا الدور حيث ترتفع درجة التعرض للراديو وتفضيله على الوسائل الأخرى.

ــ من الأهمية أن يركز الراديو على النخبة الجديدة، ويدعم من دورها في التنمـــية السياسية، بالإضافة إلى تطوير دور النخبة التقليدية بما لا يعوق التنمية.

ــ يمكن أن يساهم الراديو في مضاعفة مصادر المعرفة.

ــ يمكن للراديو أن يقوم بدور المفتش العام على سياسة الحكومة، وإن كان دوره في هذا الصدد يأتي في مرتبة لاحقة لدور الصحافة.

ــ يمكن للراديو أن يساهم في ترشيد الجماهير سياسيا لتشارك في التنمية، وأن يؤخذ في الاعتبار الاعتبارات الكيفية.

ثالثا: الإذاعة والتخطيط الإعلامي والتربوي

إضافة إلى ما سبق ذكره، ولكي تؤدي الإذاعة دورها التنموي على أحسن ما يرام، ولا تواجهها أية عراقيل، يجب أن يخطط لها من طرف المختصين في التنمية، ذلك أن

العلاقة بين التخطيط الإعلامي، وبرامج وخطط تنمية المجتمعات المحلية هي علاقة عضوية، لأنه أهم الأسس التي يتركز عليها منهج تنمية المجتمع هي توجيه أفراده لمساعدة أنفسهم، والمساهمة بفاعلية في الجهود التي تبذلها الحكومات المركزية أو المحلية لتحسين مستوى معيشتهم، وتشجيعهم للقيام بدور فعال في تنمية مجتمعهم المحلي وتوعيتهم ليكونوا على إدراك ووعي بمشـــكلات بيئتهم، وتدريبهم على الحكم الذاتي، وهذا كله لن يقدر له النجاح إذا لم يضع المخطط الإعلامي في اعتباره أن هناك عدة ظروف خاصة في المجتمع المحلي، وهي ما يطلق عليه سمات، أو ميزات المجتمع التي تبين الاختلافات بين كل مجتمع وآخر، وهي المميزات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتاريخية والحضارية، وهذه تختلف من مجتمع إلى آخر من حيث وجودها، أو عدم وجودها، ومن حيث درجة وضوحها في أذهان أفراد المجتمع، ومن حيث قوة التأثير التراكمي الناتج عنها، واتساع هذا التأثير، وأخيرا من حيث ضعف هذا التأثير في مناطق، وانحصاره في مناطق أخرى.

وبصرف النظر عن نوعية التأثير الناتج عن السمات الخاصة بكل مجتمع، فإن هذه السمات تجد طريقها بكل سهولة إلى احتلال جزء كبير من عقل، وتفكير المخطط الإعلامي للتنمية، كما تشغل مساحات لها أهميتها في الخطط الإعلامية، ومن ناحية أخرى، فإن التخطيط الإعلامي لهذا الجانب من المنطلقات يعتبر تخطيطا لجزئيات من كل متكامل هو التخطيط للتنمية الشاملة والمحلية، وهذه الحقيقة تؤكدها مجموعة قيمة من الدراسات التي أجراها علماء الإعلام والاتصال بالجماهير، وفي مقدمتها الدراسة التي أجراها "ولبر شرام" على مائة دولة من الدول النامية لإلقاء الضوء على العلاقة بين الاتصال بالجماهير وبين التنمية، وقد توصل "شرام" إلى أن معامل الارتباط بين النشاط التنفيذي الذي تجريه وسائل الاتصال بالجماهير، وبين نتائج تنفيذ الخطط العامة للتنمية (متضمنة برامج التنمية المحلية) قد وصل إلى 72%، وإذا قلنا إن النشاط التنفيذي لوسائل الاتصال بالجماهير، وهو تنفيذ لخطط وبرامج إعلامية وضعها المخطط الإعلامي سلفا، وإذا قلنا – كذلك – إن عمليات التنمية هي النشاط التنفيذي لخطط وبرامج التنمية (شاملة أو محلية)، والتي وضعها وحددها سلفا المخططون في مجالات التنمية، كل في

اختصاصه، فإن ذلك يعني أن معامل الارتباط بين التخطيط الإعلامي والتخطيط للتنمية، لابد من وأن يكون على مستوى من الارتباط أعلى من 72%، لأن هناك مجموعة من العوامل السلبية التي تحول –عادة– دون تنفيذ الخطط في كل من النوعين (التخطيط الإعلامي والتخطيط للتنمية) بالدقة المطلوبة، وبالتالي فإن هذه العوامل السلبية قد أضعفت مستوى الارتباط، وقللت درجته إلى الدرجة التي حددها "شرام"[17].

خاتمة :

ما أود التأكيد عليه هنا أيضا أن الإعلام – بما فيه الإذاعة – ليس العصا السحرية القادرة على صنع المعجزات، وإنما دوره وفعاليته يرتبطان بفعالية ودور أجهزة التعليم الأخرى، ويتعاظم هذا الدور، وهذه الفعالية إذا تحقق التكامل بين كل هذه الأجهزة والأدوات وإذا وجدت الخطة الواضحة، والهدف الواحد.

معنى هذا أن كل جهاز من هذه الأجهزة الثقافية والتعليمية، والإعلامية ليس مسئولا وحده عن خطة التنمية ... وعن عقل المواطن ... وفكره، بل المسؤولية تتوزع عليها جميعا، والنظرة الجزئية التي سادت السنوات السابقة ثبت فشلها، وعدم صلاحيتها في عالم اليوم، ولعل هذه النظرة الجزئية من جانب كل جهاز في تعامله مع البشر، هي التي شوهت الصورة الوردية للدور الذي كان متصورا لوسائل الإعلام، ودورها في التنمية، والذي يدفع بنا اليوم لإثارة ضرورة التكامل القيمي والوظيفي بين أجهزة الثقافة والتعليم والإعلام.

إن حدود الدور الذي يقوم به الجهاز الإعلامي في التنمية الثقافية والاجتماعية ينبع من حقيقة مهمة، وهي أن الإعلام ليس متغيرا مستقلا، ومن ثم فإن أداء دوره يتحدد إلى حد كبير بالبيئة الاقتصادية والسياسية التي يمارس دوره فيها، كما يتحدد إلى مدى بعيد بطبيعة وفاعلية الدور الذي تقوم به أجهزة الثقافة والتعليم الأخرى، ويتحدد أخيرا بمضمون الرسالة الإعلامية التي يسعى إلى نقلها، ومدى صدق هذا المضمون من ناحية، وصدق مصدرها من ناحية أخرى[18].

الـــمـــراجـــع:

1ــ عدلي سيد محمد رضا: البناء الدرامي في الراديو والتلفزيون، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت ص14.

2ــ شون ماكبرايد وآخرون: أصوات متعددة وعالم واحد، الاتصال والمجتمع اليوم وغدا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص ص429-430.

3- عدلي سيد محمد رضا: مرجع سابق، ص ص15-16.

4-المرجع السابق، ص21 .

5- المرجع السابق، ص ص21-22 .

6- المرجع السابق، ص ص25-26.

7- سامية محمد جابر: الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث:النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، 1994، ص ص331-332.

8- عدلي سيد محمد رضا: مرجع سابق، ص 26 .

9- المرجع السابق، ص.28

10- سامية محمد جابر: مرجع سابق، ص ص332-333 .

11- المرجع السابق، ص.334

12- المرجع السابق، ص ص335-336.

13- المرجع السابق، ص ص336-337.

14- عدلي سيد محمد رضا: مرجع سابق، ص .25

15- عبد المجيد شكري: الإذاعات المحلية لغة العصر، المركز الجامعي للطباعة الإلكترونية، القاهرة 1987، ص.94

16- محمد علي العويني: دور الراديو في التنمية السياسية، عالم الكتب، القاهرة د.ت، ص ص47-49.

17- محمد منير حجاب: الإعلام والتنمية الشاملة دار الفجر للنشر والتوزيع، الهرم، مصر، 1998، ص ص105-106.

18 - أماني قنديل: التكامل بين أجهزة الثقافة والتعليم والإعلام، وقفة بين الأمل والواقع، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 39، أيار (مايو)، 1982، ص ص128-129.